

مشكلات فهرسة المخطوطات العربية

الدكتور قاسم السامرائي

باحث في جامعة لايدن — هولندا

لم يحظ علم فهرسة المخطوطات العربية في العالم العربي بشقيه بعد بمثل الاهتمام الواسع الذي حظي به علم المطبوعات وغير المطبوعات مما يسمى الآن بـ «أوعية المعلومات»، فقد أدرج علم فهرسة المخطوطات ضمن أوعية المعلومات إدراجاً وأقحم فيها إقحاماً بالرغم من تباين الملامح المادية واختلافها — وإن تشابه بعضها — بين المطبوع والمخطوط. ولعل ذلك يعود إلى أن أغلب من كتب في فهرسة المخطوطات — وهم قلة — كان قد تدرّب في أقسام وكليات المكتبات والمعلومات الأوروبية أو الأمريكية التي تعنى بالدرجة الأولى بتنظيم المطبوع دون المخطوط، فغلب على كتاباتهم التقليد والمحاكاة⁽¹⁾. وهذه المحاولات — على جدتها — اعتمدت على الجانب النظري دون العملي⁽²⁾ ومع هذا فهناك محاولات

(1) انظر: مجلة عالم الكتب، مج 2، ع 1 (الرياض: رجب — مايو 1401هـ/1971م) وبخاصة مقالة د. يحيى ساعاتي (2 — 9) ومقالة د. ناصر السويدان وزميله (10 — 31) حول رؤوس الموضوعات، فقد أوردنا جملة من كتابات المهتمين بالفهرسة.

(2) قارن: عزة حسن: المخطوطات العربية وفهرستها، في الحلقة الدراسية للخدمة المكتبية، دمشق 1392هـ — 1972م، ص: 327 — 348.

— عبد الستار الحلوجي: فهراس المخطوطات، الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والوراقة والتوثيق والمخطوطات العربية والوثائق القومية، دمشق 1392هـ — 1972م ص: 284 — 300.

— شعبان خليفة ومحمد العايدي: الفهرسة الوصفية للمكتبات والمطبوعات والمخطوطات، الرياض، دار المريخ، د.ت.

— عباس طاشكندي: فهراس المخطوطات العربية، دراسة تحليلية، مجلة الدارة، الرياض ع 2، السنة الخامسة (محرم 1400هـ/ديسمبر 1979)، ص: 219 — 242.

أخرى في تقنين قواعد فهرسة المخطوطات أو رسم مناهجها مما نراه في أغلب
فهارس المخطوطات التي ظهرت في العالم العربي بشقيه. بيد أن هذه المحاولات
الجادة أيضا اعتمدت في أغلبها إما :

(1) على الجهود الشخصي والتجربة الفردية الذاتية التي اكتسبها المفهرس أثناء
عملية فهرسة بعض المجموع المخطوطة، أو نتيجة جهود علمية في تحقيق نصوص
مخطوطة.

(2) أو على محاكاة فهرسة القواعد الأنجلو - أمريكية مثل ما نراه في فهرس
المخطوطات العربية في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت ليوسف خوري⁽³⁾
الذي نشر حديثا.

الواضح جيدا في هذه الفهارس خلوها من أية أسس موحدة وبالتالي فإنها
تختلف اختلافا بينا في المنهج المتبع في أساليب وصف المخطوطات والسبب : أن
خطة العمل في هذا الفهرس أو ذاك فرضتها شخصية المفهرس العلمية إضافة إلى
عوامل إدارية أو ثقافية، أو حتى مالية حددت حرته. فكان فيها المجحف في
الاختصار وكان منها المسرف في التطويل. فكان كل مفهرس يحسب أنه مصيب
في فهرسته. ولما كانت مهمة الفهرسة تكمن في إعداد البيانات وتيسير المعلومات
عن هذه المخطوطة أو تلك، فهي هنا مفتاح الباحث إلى ما تحويه هذه الخزانة
أو تلك من الكنوز وهي بعد الدليل إلى تمييز هذه المخطوطة عن أختها وذلك بتعيين
الملاحح المادية لكل منهما، لأن نسختين من مخطوطة واحدة لا تتشابهان إطلاقا
كتشابه نسختين من كتاب مطبوع وهنا تتميز فهرسة المخطوط عن المطبوع، لأن
التعامل مع المخطوطات يختلف اختلافا جذريا في مقارنته مع المطبوعات بصنوفها
المختلفة. وهذا الاختلاف لا يكمن في كون المخطوطات أهم علميا أو أعلى قيمة
مادية من المطبوعات، بل لأن التعامل مع المخطوطات يتطلب صفات وقابليات
وميولا في المفهرس أو المحقق لا تستلزمها المطبوعات. والنسب يكمن في أن
المخطوطة نفسها عالم قائم بذاته، متميز عن غيره، منفرد بدقائقه وتفصيلاته
وصفاته، ولا يستطيع أن يلج هذا العالم ويكتشف خباياه إلا من أوتي صبورا عميقا،
وجلدا وثيقا، وهمة عالية، ورغبة صاغية، وحب استطلاع أصيل لاستكشاف

(3) نشره مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط، الجامعة الأمريكية، بيروت 1984.

المجهول في كل ثنية ورقة غائرة، أو جرة قلم عابرة، أو حروف امتلاك مطموسة،
أو تعقيبية مبتورة، أو مقابلة مبلولة، أو إجازة مخرومة، أو ترقيم مقطوع، أو تاريخ
مزور، أو عنوان مزيف، أو قراءة قارئ ممسوحة أو سماع مؤرخ، أو وقف
مغصوب، أو ختم باهت، أو تعويذة أرضة ملغوزة. ومن هنا نلخص إلى أن فهرسة
المخطوطات ليست أمرا هينا وعملا يسيرا يقوم به من شاء وكما يشاء ممن عانى
تحقيقا لنص، أو نشرًا لرسالة أو قراءة في مخطوطة، بل إنها فن وصنعة، قوامها
الهاوية وسداها الخبرة ولحمتها الدربة الطويلة والمران المستمر والدراسة العميقة
الدقيقة لكل جانب جمالي وصناعي وفكري في المخطوطة. إذ لا يكفي معرفة
المفهرس بأنواع الخطوط وتطورها واشتقاقاتها والجلود وأصنافها والأمددة والأحبار
والأصباغ ووسائل صناعتها وموادها، والأوراق والرقوق والطرروس والقراطيس
والمهارق وأنواع القباطى والكرايسس والزخرفة والتذهيب والتسفير (أي : التجليد)
وما إلى ذلك من الجوانب الفنية ليكون مفهرسا خبيرا دون أن يكون أيضا على
معرفة واسعة بالفكر الإسلامي بكل جوانبه المختلفة : من تاريخ وفقه وخلاف
وقضاء، وأوقاف وأنظمة الدواوين، وأدب وشعر ولغة وعقائد وفرق وما يدور
حول كل هذا وزيادة. فإن في عملية الفهرسة مشكلات كثيرة يمر بها القارئ
الحصيف والمحقق المدقق فلا يقف بصره عندها ولا تثير في نفسه تحديا يحمله على
معاناة فك ألغازها وحل معمياتها التي تعارف عليها النساخ والقراء قرونا. فقد
تعرض سبيل المفهرس بعض هذه الألغاز فيقف أمامها حائرا قلقا وجلا، يقلبها
على جوانبها ويكد عقله وخياله حتى يجد لها حلا يرضيه، ناهيك عما يتطلبه الأمر
من البحث الطويل والتنقيب الممعن في المراجع المختلفة للتأكد والتثبت.

والمخطوطات تتفاوت في حالاتها وتكويناتها الخارجية والداخلية عند وصولها
إلى يد المفهرس. فبعضها تصل إلينا كاملة غير منقوصة وبعضها عفى الزمن والعيث
على أوائلها وبعضها تجرأت العوامل البشرية على استلاب أو آخرها، وبعضها كان
محظوظا فوقت بيد من صان قدرها المهان فاستكمل ما ضاع من جوانبها، وبعضها
انخرمت بعض كراريسها الداخلية فضاعت ووصلت إلينا هذه الكراريس، وبعضها
فقدت جلودها فلم تحظ بمن يجد لها جلودها، وبعضها احتمى بها صاحبها من
المطر فسد بها كوة في مسكنه فحتمته من البرد والبلل ولم تحم نفسها. وهذه كلها
موجودة في المخطوطات التي تمر على يد المفهرس وزيادة ناهيك عن عبث الأرضة
الجائعة التي لا تقرأ الألغاز والتعاويد.

من كل ذلك نخلص إلى المشكلة الأولى في علم فهرسة المخطوطات تكمن في إعداد الفهرس المؤهل، ولا يتم إعداده إلا إذا تبنت الجامعات العربية في المشرق والمغرب فتح أقسام خاصة لتدريب الفهرسين على غرار قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الإمام بالرياض في الأقل، وعلى أن يقوم بالتدريب فيها من أوتي دربة واسعة وخبرة وثيقة في تعامله مع الفهرسة. والعالم العربي الآن يحظى بنخبة من هؤلاء العلماء الذين لا يمكن تعويضهم في المستقبل.

أما المشكلة الثانية فتتعلق بقواعد الفهرسة نفسها، فإن المكتبة العربية تكاد تكون خالية من أية أصول فهرسية متفق عليها والنتيجة لهذا أن كثيرا من عمليات الفهرسة تتم دون قواعد متقنة مما يجعل توثيق المخطوطة مشكوكا فيه أحيانا، لذلك أذعو إلى تشكيل لجنة من العلماء المعنيين بالمخطوطات العربية لعقد ندوة للاتفاق على القواعد الفهرسية تتبناها مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود أو أية مؤسسة ثقافية علمية أخرى. وقد سبق أن حاولنا في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض وضع قواعد ثابتة وعملية، راعينا فيها كل الجوانب المهمة التي يعنى بها الباحث بعامة والمحقق بخاصة (انظر الملحق). وحاولنا أيضا وضع قائمة برؤوس الموضوعات اعتمادا على الواقع العملي والفكري، واستئناسا بدراسات العلماء الرواد الأوائل كالفارابي والخوارزمي والقلقشندي وحاجي خليفة والتهاونوي، والمعاصرين كالموجد⁽⁴⁾ وعبد الوهاب أبو النور⁽⁵⁾.

أما المشكلة الثالثة فهي وثيقة الصلة بالمشكلات السابقة وعليها تعتمد في حلها. فإذا توصلنا إلى وضع قواعد فهرسية متفق عليها واتفقنا على وضع قائمة برؤوس الموضوعات فحينئذ تبدأ المشكلة الفنية التدريسية وهي التي يشترك في بعض جوانبها الفهرس والمحقق على حد سواء. ولما كان عمل الفهرس سابقا على عمل المحقق فأولى بالفهرس أن يوفر العناء على المحقق لأنه يفهرس مخطوطة بين يديه قد لا تتوفر للمحقق في بلد آخر، وهنا يأتي دور تدريب الفهرس على مشكلات الفهرسة وعلى وسائل حلها. وهذا علم قائم بذاته بالرغم من أن من كتب في تحقيق النصوص تناول بعض جوانبه مثل تحقيق عنوان المخطوطة، وإسم المؤلف

(4) قواعد فهرسة المخطوطات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثانية، 1396هـ/1972م.

(5) انظر : الدارة (السعودية) عدد 4 (صفر 1398هـ/يناير 1978).

ونسبة الكتاب إليه ثم أوصوا من يود تحقيق مخطوطة : «أن يدرس ورقها ليتمكن من تحقيق عمرها... وأن يدرس المداد فيوضح له قرب عهده أو بعد عهده، وكذلك الخط، فإن لكل عصر نهجا خاصا في الخط ونظام كتابته، يستطيع الخبير الممارس أن يحكم في ذلك بخبرته»⁽⁶⁾. بيد أنهم لم يخبرونا عن وسائل دراسة الورق أو أنواعه في تحديد زمن المخطوطة ولا وسائل معرفة أنواع المداد وأساليب معرفة عصوره ؟ وهذا ما لا يستغني أي فهرس عن معرفته. إضافة إلى الترقيم وتطور استعماله، ونظام التعقيبات والكراسات، ومعرفة التواريخ المزورة، والعناوين المزيفة، بل وحتى المخطوطات المزيفة الكاملة، ونظام التاريخ بحساب الجمل والحسابات المركبة والعلامات المائية وتواريخها، والمخطوطة المنسوبة لغير مؤلفها الحقيقي، والتجليد ومواده وأقطاره (فإن التجليد الهندي غير المصري وهما غير المغربي) والترنجات والمداليات وزخارفهما والتوريق (وهو الزخرفة المعمولة على شكل أوراق الأشجار⁽⁷⁾)، والأحبار وألوانها وتاريخ ظهورها في المخطوطات، ناهيك عن تمييز الخطوط وهذا ما يسمى في اللغات الأوروبية بـ «الباليوجرافي» وسميائه بعلم الاكتناه : وهو علم يختص باستنباط المعلومات واستقراء دقائقها، على ضوء المعرفة التي اكتسبها الفهرس بالدراسة العميقة والمران الطويل. ويلحق

(6) عبد السلام هارون : تحقيق النصوص ونشرها، القاهرة 1374هـ/1954م، الطبعة الأولى، الصفحات 31 — 32 وما بعدها.

(7) محمد العربي الخطابي : فهارس الخزائن الملكية (الطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات)، الرباط 1402هـ/1982م، مج 2، صفحة 11.

(8) قاسم السامرائي : مقدمة في علم الوثائق الإسلامية، دار العلوم، الرياض 1403هـ/1983م. ملاحظة :

— الفارابي : كتاب إحصاء العلوم، نشره الدكتور عثمان محمد أمين في سنة 1350هـ/1931م بمطبعة السعادة بالقاهرة، وفي سنة 1949 بمطبعة الاعتد بالقاهرة.

— الخوارزمي : كتاب مفاتيح العلوم، القاهرة 1342هـ.

— حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبع وصور مرارا، زاد عليه النبهاني الحلبي.

— التهانوي : كشاف إصلاحات الفنون كلكتا 1862.

— طاشركبري زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة، حيدرآباد 1328 — 1329هـ.

— القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشاء، القاهرة، (دار الكتب المصرية) والهيئة العامة للكتاب 1405هـ/1985م.

بطاقة فهرسة

ملف المخطوطات — صفحة (1)

(1) رقم الحفظ والتسلسل :	(2) الميكروفيلم:
(3) الفن :	
(4) عنوان المخطوطة :	
(5) عنوان المخطوطة الفرعي:	
(6) اسم المؤلف	
(7) اسم الشهرة :	
(8) تاريخ وفاة المؤلف :	(9) القرن :
(10) المصادر :	

بكل هذا تدريب المفهرس على حسن معرفته، وسهولة استخدامه لآلات الفهرسة المساعدة له في عمله، مثل كتب بروكلمان وسزكين وحاجي خليفة وذيوله والزركلي وكحالة، وكتب الوفيات والطبقات حسب القرون وغيرها، وكتب الرجال والمعاجم وكتب الموسوعات والمشايخات أو البرنامجات، وكتب البلدان والتواريخ بعامة وكتب تواريخ البلدان بخاصة، والأنساب وأصول الرواية والدراية وكتب المتشابه وما إلى ذلك من أوعية المعلومات إضافة إلى اطلاع واسع على ما نشر من فهارس المخطوطات في العالم العربي والإسلامي والعالم الغربي، وعلى ما ينشر من دراسات لها مساس مباشر أو قريب من عمله.

(14) الجزء :

(15) بداية المخطوطة :

(19) نهاية المخطوطة :

(23) نوع الخط :

(24) تاريخ النسخ :

(26) مكان النسخ :

(27) اسم الناسخ :

(28) اسم الشهرة :

(29) عدد الأوراق :

(30) عدد الأسطر :

(31) المقياس الداخلي :

(32) المقياس الخارجي : ..

ملف المخطوطات – صفحة (2)

ملاحظات عن حالة المخطوطة :

(1) رقم الحفظ والتسلسل :

(2) الورق :

(3) الحبر :

(4) الجدولة :

(5) التذهيب والزخرفة :

.....

(7) التجليد :

(8) الآفات :

ملف المخطوطات — صفحة (4)

بيانات تلخيصية :

(1) رقم الحفظ والتسلسل :

(2) الواصفات :

(8) تعريف بالمخطوطة :

(15) أصل (ل) أم صورة (ص) : ..

ملف المخطوطات — صفحة (5)

بيانات عن الطبع والنشر :

(1) رقم الحفظ والتسلسل :

(9) ملاحظات :

ملف المخطوطات — صفحة (3)

البيانات التوثيقية :

(1) رقم الحفظ والتسلسل :

(2) المقابلة :

(3) التصحيح :

(4) التقييد :

(5) الشرح والهاشية :

(8) التملك والختم :

(9) القراءة والسماع والاجازة :

تقنيات فهرسة المخطوطات العربية

الدكتور أحمد شوقي بنين

أستاذ بكلية الآداب — الرباط

تقديم :

مما لا جدال فيه أن الفهرسة قد رافقت الإنسان طوال حياته، وساعدته على تنظيم معارفه وتنسيقها وحفظ آثاره وصيانتها. وقد أصبحت الفهرسة اليوم أداة ضرورية ووسيلة فعالة لكل من الباحثين في حقل التراث الإنساني، والعاملين في مجال المكتبات على السواء. والمخطوط العربية أطول مخطوطات العالم عمرا، وأكثرها عددا وأجزرها بالاهتمام والعناية والتنظيم.

فما هي الطرق التي استخدمها القدماء والمحدثون في وصفه والتعريف به وتنظيمه؟ وما علاقة الفهرسة العلمية للمخطوط بعلم المخطوطات وتاريخ النصوص؟

ذلك ما سنحاول الإجابة عنه في هذا العرض.

إن من أقدم ما وصلنا من فهارس القدماء شذرات من الفهرس البيبليوغرافي الذي وضعه الشاعر اليوناني كاليماخوس (Callimachus) في القرن الثالث قبل الميلاد لأهم خزانة في العصر القديم خزانة الأسكندرية⁽¹⁾. ويعتقد الأخصائيون أنه أول فهرس منهجي وضع في التاريخ باعتبار الطريقة العملية التي لجأ إليها كاليماخوس في تقسيمه للمعرفة تقسيما علميا، وتصنيف الكتب حسب هذا التقسيم. ولم يكن العرب ليجهلوا هذا النوع من العلم والتقنية لتنظيم مكتباتهم ووضع الفهارس اللازمة لها. فكتب المصادر مملأ بالأخبار التي تحدثنا عن فهارس الخزانات

(1) شذرات من هذا الفهرس محفوظة بجزائن المتحف البريطاني بلندن.

(2) الطبع والنشر :

(3) مكان واسم الناشر :

(4) تاريخ النشر :

(5) التحقيق :

(6) المحقق :

(7) النسخ الأخرى :

(12) مكان الحفظ :

(13) المفهرس :

(14) تاريخ الفهرسة :

التوقيع :